تيمة الإصلاح والتحرر في رواية كراف الخطايا "عبد الله عيسى لحيلح"

مقاربة موضوعاتية

The theme of reform and liberation in the novel « Kraft of Sins » by Abdullah Lahilah

Thematic Approach

ط.د/نوال بوزكري *،

مخبر الأدب الجزائري ونقده، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي (الجزائر)،

Bouzekri-nawal@univ-eloued.dz

أ.د/ قويدر قيطون،

مخبر الأدب الجزائري ونقده، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي (الجزائر)،

Kouider201230@gmail.com

تاريخ الاستلام: **2022.02.13**

تاريخ القبول: **2022.03.30**

تاريخ النشر: **2022.03.31**

Ex PROFESSO

المجلد 07، الرقم 01، السنة2022

ملخص

يمثل النقد الموضوعاتي أحد أهم المقاربات النقدية الحديثة .نظرا لقدرته على استخلاص جملة آليات منهجية من مختلف المقاربات الآخرى واستثمارها في دراسة النصوص الأدبية ،وتتبع التيمات التي تحملها؛ وبهذا تكون الموضوعاتية أكثر المناهج توفيقا ودقة في خدمة الأدب سياقيا ونسقيا .لذا ارتأينا -ونحن نتتبع أعمال عيسى لحيلح الإبداعية للوقوف على نوعية الأداء الخطابي وأبعاده -اختيار المقاربة الموضوعاتية لمعالجة أحد أعماله "رواية كراف الخطايا.

الكلمات المفتاحيّة: الموضوعاتية؛ عبد الله لحيلح؛ كراف الخطايا؛ التيمة؛ التحرر؛ الإصلاح.

Abstract (100-150 words)

Thematic criticism represents one of the most important modern critical approaches, due to its ability to extract a number of methodological mechanisms from various other approaches and invest them in the study of literary texts, and follow the themes that bear them; Thus, thematic is the most successful and accurate method in the service of literature, contextually and chronologically. Therefore, we decided - as we trace the creative works of Issa Laheleh to determine the quality and dimensions of rhetorical performance - to choose the thematic approach to address one of his works, "The Novel of Sins' Kraft".

Keywords : Thematic ; Abdullah Lahilah ; Kraft of Sins ; Theme ; Liberation; Reform.

Url de la revue :
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/484

* -المؤلف المراسل.

مقدّمة:

تعد المقاربة الموضـوعاتية -أو كما يسـميها بعض النقاد بالنقد الموضـوعاتي- مقاربة نقدية حداثية: تهدف إلى دراسـة النصـوص السـردية وتتبع التيمات الأسـاسـية البارزة فيها وذلك بغية الوصـول إلى المعاني والدلالات التي لا تظهر إلا من خلال تقصـيها والبحث عنها، وبعد قراءتنا لرواية "كراف الخطايا" **لعيسى لحيلح**، رأينا أنه بقدر بلاغتها وحسن سبك لفظها والتميز الواضح فيها لغويا، فالموضوعات المتناولة أيضا أكسبتها صبغة خاصة وتميزا وفتحت بصائرنا إلى آفاق أخرى ما كانت لتظهر إلا من خلال التطرق إلى تلك التيمات الظاهرة والخفية منها، والتي شكلت في النهاية رواية إبداعية ومرجعا فكريا. لذا اخترنا دراسة تيمة نراها أخذت مسـاحة كبيرة في الرواية من حيث تواترها تصـريحا أو تلميحا متمثلة في: "البعد التحرري الإصـلاحي"، ومن خلال هذه التيمة التي جعلتها محور بحثي سـنبحث في كيفية توظيفها؟ وكيف برزت؟ وهل لها علاقة بالتيمات الأخرى؟ وهل توجد تيمات ثانوية كانت مرتكزا اسـتخدم من أجل خدمة تيمة الإصـلاح والتحرر في هذه الرواية؟ ثم إلى أي مدى اسـتطاع الروائي أن ينجح في تقديم مادته الفكرية الإصـلاحية في شـكل فني جمالي يجذب القارئ ويوعيه في الوقت نفسه؟

I. المقاربة الموضوعاتية

تمثل المقاربة الموضـوعاتية محورا من محاور النقد الحديث والمعاصـر. ولها آليات خاصة تستقرئ بها النصوص وتقاربها ومفهومها الاصطلاحي حسب أحمد يوسف كما يقول: "تعد المقاربة الموضـوعاتية من أهم المقاربات النقدية في التعامل مع النصـوص الأدبية فهي نقد وصـفي ينبني على فهم النص من أجل اسـتكشـاف المعنى وإظهاره، وهي تهدف إلى تتبع الثيمات الأسـاسـية الواعية واللاواعية للنصـوص وتحديد محاورها الدلالية المتكررة المتواترة واسـتخلاص بنياتها عبر عمليات تجميع المعاني والإحصـاء الدلالي لكل القيم والتيمات المعنوية المهيمنة".[1]

وبهذا التعريف نسـتطيع أن نقول بأن المقاربة الموضـوعاتية تقوم على اسـتخراج الموضـوعات الواردة في النصـوص وجمعها ثم إحصـاءها وبعد ذلك دراسـتها وفق ورودها ودلالاتها وبهذا تفضي إلى فهم خلفيات النصوص وأهدافها.

المقاربة الموضوعاتية بين التأييد والمعارضة

لقيت الموضـوعاتية أو النقد الموضـوعاتي ردود فعل متباينة بين مؤيد ومعارض كونها نقد يقوم على الجمع ثم التفسيروالوصف وفق الموضوعات. فلربما بحسب البعض فهو نقد يفتقد الدقة ويركز على الانطباعية الذاتية فتكون الدراسـة بذلك قاصـرة وغير مقننة، يقول

السعيد علوش في ذلك: "خلق النقد الموضوعاتي ردود فعل مختلفة اعتبرته تحليلا ذاتيا انطباعيا وسطحيا لتنتهي به إلى نمط الخطاب حول أدب غير مقعد، وغير قابل للتوالد من هنا يأتي تدخل فيليب هامون Philippe Hamon ليفسر هذه الإشكالية؛ ومن الصعب التخلي عن الموضوعاتي هذا المكان الإعراضي لصالح نفع من الإسقاط الارتجالي على حساب جوهر طبيعة العمل نفسه ورغبة الانسجام (فالموضوعاتي عبر تردده الظاهر إلى حد ما يضمن مقروئية كاملة للنص إلى حد ما)".[2]

إذن فالموضوعاتية إذا ما كانت تحتكم في جانب ما إلى الانطباعية فهي ستكون انطباعية الناقد الذي يقدم القراءة النقدية للظاهرة البارزة والمهيمنة في النص وفق آليات النقد الموضوعاتي أي بما تحتمه عليه المقاربة؛ فالانطباعية ماهي إلا مرحلة تأويلية تستند إلى منطلقات فلا يمكن أن يكون بذلك ما يقدمه الناقد مجرد رأي ذوقي حدسي إنما يقدم قراءة لها خلفيات وضوابط، وهذا طبعا لا يمنع أن يكون هناك ميل إلى ترجيح فكرة بحسب قناعات الدارس في نقطة ما.

مفردات النقد الموضوعاتي وعلاقته بالمناهج الأخرى

للموضوعاتية مفرداتها (مصطلحاتها) كما هو الحال مع كل مقاربة ومنهج وعلم. ومن مصطلحات الموضوعاتية ما أردفه **جميل حمداوي** نذكر منها: "التيمة، الفكرة الرئيسية، الغرض، الجذر، الصورة الملحة، الذات، الموضوع، الوعي، اللاوعي، العنوان، الزمان، المكان، الانفعال، التركيب، الخيال، التخييل، الوحدة العضوية. الاستدلال، الصوت، البلاغة، السطح، العمق، الداخل، الخارج، التفسير، التأويل، الإحصاء، العد، العالم، الاستعارات الملحة".[3]

وهذه بعض مصطلحاتها فهي حقل معرفي واسع يأخذ من عديد المناهج والمقاربات النقدية وحتى من العلوم يقول **حميد لحميداني** في انفتاح الموضوعاتية واستفادتها من غيرها: "...يذهب جان بيير ريتشار إلى تأكيد استفادة النقد الموضوعاتي من البنيوية والتحليل النفسي والنزعة الشكلية، وفي نفس الوقت يؤكد استخدام الناقد الموضوعاتي لطاقة الحدس (intuition) ينفي أن يكون الناقد خاضعا لإيديولوجية معينة...".[4]

ومن الواضح ونحن نورد مفردات الموضوعاتية وعرضنا ما قاله **حميد الحميداني** أن هناك مفردات في علم النفس والنقد النفسي "الانفعال، الوعي، اللاوعي، الاستعارات الملحة"، والتأويلية من قبيل "التفسير التأويل والبنيوية التكوينية مثل: الداخل، الخارج، العالم، السطح، العمق..."، كلها مصطلحات اقتبستها الموضوعاتية من غيرها وكثيرة هي المعارض التي أخذت منها الموضوعاتية باعتبارأن روادها بنيويين وفلاسفة وعلماء نفس اذا كانت تجاربهم

واطلاعاتهم واسعة فأنتجوا هذه المقاربة التي حاولت أن تكون اكثر وضوحا وخدمة للنصوص من حيث فردانية ذلك العمل في طرح موضوعاته والبحث فيما غمض منه يقول **أندريك أندرسون**: "والموضوعات مهما كانت عالميتها أي مهما كان كثيرا ما نعرفه عن الأدب العالمي ستظهر في كل عمل بخصوصية مختلفة ولهذا فإن ما يقوم به النقد الموضوعاتي في العمق هو إبراز الموضوعات كاستعارات فردية".[5]

وعليه فإن الموضوعاتية هي البحث في تيمات النصوص بطريقة لا تبحث بها المقاربات الأخرى هي تبحث في المألوف عما لم تتوقف عنده دراسة أخرى لإبراز محتوى جديد من نصوص ظن القارئ والباحث العمل فيها قد انتهى بفعل عدد ما قرأت ودرست.

II. تيمة الإصلاح والتحرر في رواية كراف الخطايا لعبد الله لحيلح

تعتبر رواية كراف الخطايا من الأعمال الأدبية التي تستحق أن يكتب لها الخلود والبقاء كأثر أدبي هادف، فبقاء الأعمال محكوم بالموضوعات المعالجة والتيمات المطروحة خاصة إن تجاوزت التركيز عن الموضوعات اللاهادفة والبعد الذاتي "السير الذاتية خاصة" فكل ما كتب لأجل الغير والتغيير سيلقى يوما ما يستحقه من تقدير .ثم أن استعمال اللغة الفائقة جمالا وفصاحة البعيدة عن الزخرفة التي تغطي على المعنى .لغة تمنحك بمفرداتها استجابة لها وجذبا نحوها هي أيضا من أسباب تميز الأعمال الأدبية .أما إذا اجتمعت اللغة والفكرة الجيدة فهذا ما وجدناه في رواية "كراف الخطايا"ومما جعلنا نهتم بها وبما يمكنها أن تقدم في المجال الأدبي والإصلاحي في كافة مجالاته اجتماعيا، سياسيا، اقتصاديا.

تيمة الحكمة والجنون

أول تيمة يمكن التطرق إليها هي تيمة الحكمة أو الحكمة التي يتفوه بها المجانين؛ في هذه الرواية تجد أن الشخصية الرئيسية التي تقوم عليها كل الأحداث هي شخصية منصور المجنون في عرف مجتمعه والعاقل بالمنطق. ولما تتبعنا الأحداث لم ننكر جنون الرجل لكن استطاع أن يقنعنا بسلامة ورجاحة ما يقول، بمنطق أن الجنون قد يفقد فيه الإنسان بعض من عقله لكن لا يجعل منه شخصا سلبيا ومنافقا فاسدا. وهذا التصوير للجنون في هذا النص كان مقصودا ليقول أن فكرة الإصلاح لا تحتاج لعقل شخص يلتزم بالحياة النمطية للبشر والتزامات أقرتها المنظمة الاجتماعية وإنما يتأتى الإصلاح بما يتصرف به الإنسان وفق لفطرته السليمة وليس بجعل العقل مرادفا لما ليس خادما للأمة (كالحيلة والنفاق وخداع الآخرين كنوع من الذكاء ورجاحة العقل)، فكان توظيف شخصية المجنون مناسبة جدا لهذا الغرض وإن كان المجنون شخصية تتوافر عليها عديد الأعمال الأدبية قديما وحديثا والتوظيف نجده خاصة في الأدبيات العربية من باب الحكمة والحكايا الوعظية ونادرا

ما يستخدم كشخصية بلهاء ومضحكة ويعود الأمر إلى عالم الجنون الغامض والمثير في الوقت نفسه فلا يمكن أن تحكم على المجنون بالغباء ولا بالتفاهة لانفصال عالمه عن العالم الواقعي ، في حين يمكن ان نقول أن عالم الجنون عالم يدعو للفضول ويفتح لنا أفاقا لتصورات كثيرة حول هذه الحالة المميزة الخارجة عن المعقول والمتعارف عنه بين الأشخاص الطبعيين فصورته الحكايا والأعمال الأدبية بمختلف اتجاهاتها وتصوراتها بأدوار كثيرة متنوعة تختلف كل شخصية بحسب العمل الأدبي والشخصية الروائية التي تصوره بحسب الأغراض، "...وقد احتل المجنون مكانة متميزة في قضية الإبداع الأدبي؛ وهذه المقولة لم تكن بنت اليوم بل ضربت أطنابها في قديم الزمان وتراكمت حولها تقاليد تراثية وثقافية بعيدة..." .[6]

فالجنون بهذا وظف لغرض الإصلاح، وسنبين ذلك من خلال بعض ما ورد في روايتنا يأتي على لسان شخصية منصور المجنون بحسب الرواية ما يأتي: "عندما نكون صادقين. فكل الأوقات صالحة لقول الحقيقة والذي يتطير بالحق، سوف لن يسعده أي شيء بعده وإذا ضاق عليك الحق (يا عمي صالح) فلا تبحث عن اتساع الحل في الباطل".[7]

فهذه الصورة الغير نمطية والتي تجاري فكر شخص غير سوي في العرف العام في حين أنه يمتلك كامل القدرة على الوعي بما حوله وبما يحصل ليكون السؤال ما هو الجنون هل هو التصرف الناتج عن وجود خلل في وظائف الدماغ؟ أم هو عدم تقبل لما يحصل في الواقع فتلف الجزء الذي يتحكم فيه العقل بمعناه الذي وضعه منطق البشر وأنظمتهم وبقي الوعي بما يجب أن يكون عليه الإنسان بغض النظر عما يقال عنه، فالجنون هنا جنون بمعنى التحرر الذي يكون داعيا لعالم أكثر صلاحا وحرية ونظاما من الجنون المعيش بحضور كامل للعقل النمطي، يقول منصور في الرواية يعبر عن حالته: "إنها حريتي، تعبر عني وتتجلى في بكامل حريتها"،[8] لجنون حرية من قيد ما يسمى عيب ولا يجوز وإن كان الأمر عاديا في حين يفعل مدعي العقل في خلواته ما لا يفعله المجنون أمام الناس وهذا التناقض عاينه الروائي بكثير من الإسهاب لأنه أساس ضياع الأمم فعدم الإخلاص يفسد فكرة الإصلاح فيكون الإنسان مقيدا بجرائمه ومنشغلا بمعاصيه فكيف له أن يطالب بالمجد والتحرر؟! "فالأمة التي يفقد أبناؤها حمل الرسالة تفقد معاني الجهاد وتفقد قيمة الحياة وحين لا يكون للأفراد رسالة ويشغل الخواء القلب تمتد السنوات وتستعلي الغرائز".[9] في حين أن المجنون متحرر من كل شيء فقط يفعل ما يمليه عليه لاوعيه دون أن يفكر في ماذا سيقوله عنه الناس فهو يعيش بوجه واحد وإن كان يعيش كل حالات التقلب المزاجي في الوقت عينه "تعجبك فيه صراحته الجارحة وتلقائيته المندفعة وبساطته الطفولية وحركاته البهلوانية التي لا يخجل أن يقوم بها حتى ساعات الجد ومقامات الانضباط أو التظاهر بالانضباط والوقار".[10] فهو ومع

ذلك أقل ضـــررا ممن يكُنُّ أذى ويبدي نصـــحا ووعظا رياء، "هناك بعض الحقيقة ليس من الأدب أن نقولها عند الصـــباح، وبعضـــها ليس من الأدب أن نقولها عند المســـاء، وبعدها لا يمكن أن نذكره في حضـــرة الوالدين وآخر لا يجوز الجهر به في وجه الإنســـان، وآخر نؤجل البوح به حتى يمر موكب الرئيس...فقل لي يا عمي صـــالح أين الحقيقة التي نعيش عليها بعد هذا الهراء؟ ..إننا نعيش الزيف بأقنعة شـــمعية ويا ويحنا لو تســـطع الشـــمس فجأة".[11] ركزنا مليا على تيمة الحكمة والتي ارتبطت بالجنون والتي وظفت بدقة لخدمة فكرة الإصـــلاح والتحرر وهذا من بداية الرواية إلى نهايتها والملاحظ أن شخصية العم صـالح صـاحب المقهى هو أكثر شخص يتحدث معه منصور بكامل عقله وذلك لأن الروائي صور العم صالح على أنه الشخص الأكثر صلاحا إذا ما قارنته مع غيره ففي النهاية تبين أنه نقطة التقاء كل التناقضات ويعالجها بنفس بما يتطلبه الوضـع يسـمع للجميع ويرضـي الجميع فربما ذلك ما ابقى المكان أقل شـحناء وبغضـاء في مجتمع تهالك ولم يبق له الكثير لكن في مقهى عمي صـالح فكل له الحق كغيره بعيدا عما يفكر أو يريد فهو يمثل الحرية والديمقراطية والوطن الذي يجمع الكل رغم الاختلافات في جانب ما فحتى منصور يرتاد المقهى دوما ويقول ما يريد وان لم يفهم عمي صالح لكنه يجيب ويحسن معاملة منصور وكثيرا ما يوحي بقرب العم صالح من منصور "نظر عمي صـالح في أرجاء القاعة هل يراه أو يسـمعه أحد قال كالمعاتب للمؤنب أما تسـتحي... لقد كثر القوادون يا ولدي... هناك قوادون لكل الأحوال وقوادون يعملون لحساب الشيخ... عد إلى رشدك يا ولدي ودع المجنون إلى مرحلة أخرى.."[12] يقول أيضا بعد أن فضح كل من كان سببا في الفسـاد متمنيا أن يحضـر العم صـالح "لو كان حاضـرا في هذه المهمة لكان أحسـن، لوكان المشـهد كامل ليرى أين الحماريون والضـفداعيون والدجاجيون... شـفاك الله يا عمي صـالح". فالعم صـالح صـاحب المقهى فربما إذا اسـتطاع أن يقتنع بأفكار منصـور وان يقنع أحد معه من زبائنه لربما سيقتنع الجميع وخاصة أنه شخص محبوب ومحاط بعديد التوجهات للناس حوله لا نجده مع باقي الشـخصـيات التي لا يعدو كلام منصـور معها تهكما واسـتهزاء بعقولها التي لا تفهم أو لا تريد فهم ما يقال فأصبح التواصل غير مجدي في حين تمثل شخصية العم صالح شخصية المغير لو أراد فهو شخصية تتحدث في كل شيء وتفقه كل شيئ لكنه لم يسعى إلى ذلك كليا وهو الحاصل في مجتمعاتنا القدرة على الفعل وعدم فعله والعيش بنمط المجتمع العام والبحث عن المصالح الشخصية لا غير ولا يهتم بما ستؤول إليه الأمور خارج مصلحته وعمله ،والذي سـيخسـر المبادئ ويسـمح بالتجاوزات من أجله رغم أنه محل تغيير ومالك لسلطته في محيطه العملي على الأقل

منصور يحاول دوما أن يبث أفكاره التغييرية والإصلاحية في هذا الوسط المزدحم لعل بعضا من القواعد التنظيمية سيؤمن بها العم صالح ليبثها أخيرا في من حوله والذين يمثلون فئات اجتماعية مختلفة الأعمار والأهداف والغايات فالتغيير المتأني وارد لكن السعي إليه لم يتجاوز الشخصية البطل والذي وجد في الأموات والصور فسحة ليتحدث عن آماله التي لم يحققها له الواقع رغم محاولاته الكثيرة في ذلك ،و(منصور) يحسن أيضا الحوار مع الشخصيات الغير حاضرة أمامه كما يحسن التواصل مع الأشخاص الواقعيين كصورة كأبيه الذي تجد في حديثه معه عديد الأهداف التي يريدها ومنعه في ذلك تجذر الأفكار المهدمة التي صعب اجتثاثها كليا يقول يحدث صورة أبيه قائلا: "أبي كما بدأت اللعبة، وكما دخلتها سوف أخرج منها عاريا كالحقيقة تثقبني عيون الناس، ويلسعني همزهم ولمزهم... لقد اكتسبوا مناعة عجيبة ضد النور والكلمة النورانية.."[13] كذا يخاطب صورة الرئيس في المخفر صور يحاورها فهي لن تهرب من سماعه لن تفلت من الحقيقة التي قد تزعج الأشخاص الحقيقين لو كانوا أمامه ثم نأتي لتيمة أخرى أيضا وجدنا أنها خدمت تيمة التحرر والإصلاح.

تيمة إفساد الأمة بدعوة الدين والتدين

إن الحديث عن الدين هنا هو حديث عن الإسلام وكما نعلم "فالدين هو مركب القيم الاجتماعية وهو يقوم بهذا الدور في حالته الناشئة حالة انتشارا، وحركته وعندها يعبر عن فكرة اجتماعية".[14]

فالدين في الأصل يسعى لإرساء مبادئ الصلاح وتعمير الأرض ودعا للتحرر من كل ما يقلل من شأن الإنسان ويذله، لكن في الرواية صور رجل الدين على أنه متاجر بدينه يدعو الناس لما لا يتعظ به هو ولا يطبقه يكفر هذا ويجعل من ذلك منافقا وذلك خارج عن الدين وهو لم يترك معصية لم يفعلها إذن أين دور رجل الدين في إبلاغ رسالة الله للخلق كيف يتم تعليمهم وهم يرون أشياء ويسمعون أخرى فكان منصور الشخصية البطل يقدم لنا في محطات عدة نماذج حية لرجل الدين كيف ضاعت الأمة بسبب أنه لم يحمل من الدين سوى آيات وأحاديث يعجل بها لسانه، ويظهر في هيئة لا علاقة لها بالشخص الذي يريد لها أن تمثله فالأصل ما ورد في الأثر "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم".[15] فالدين لا يستطيع أن يدعو إليه الجميع فهو يحتاج أن يكون الداعي قدوة في قوله وفعله إذا لاحظنا استهزاء شخصية البطل بالشيخ الذي كان سببا في فساد المجتمع فهو يختلس ويتعدى ويؤذي يقول منصور: "هذه العمامة والعباءة يا غواة وذا أنا صرت (الشيخ) أهدي من أشاء إلى صراط مستقيم استنسخ الآيات عن وجه النهار أبشر الأحرار والثوار والخبثاء بالربح

العقيم".[16] ويقول أيضـا: "يا ويحنا من تدين اللحية والعباءة هكذا همس مبتسـما".[17] ولا زال يستهزئ لأنهم صوروا الدين على غير حقيقته، "انظروا يا معشر قريش رأس الشيخ صغير كأنه برتقالة" فهو بذلك يحاول أن يبين أن من يتبع هؤلاء الرجال مدعي الدين إنما هو في ضـلال وهذا ما ورد "لولا هذا المجنون لظللنا نعتقد أن حجم رأس الشـيخ في حجم العمامة".[18] والأمر يتجاوز هذه الفكرة، بل هو يريد تغيير التفكير السـائد أصـلا على كل المسـتويات فقد عمد إلى مواجهة الجميع بما اقترفوا "...إنها الفضـيحة تنزلت على قلب أفاك مجنون.. ومن عسـاه يكون...؟! شـيء لا يصـدق.. معنى هذا أن أحدا ما بعد الله كان يرى ويسـمع وهبت ريح بقدر أثارت المناشير فوق السفوح والسطوح والشرفات. هذا أحسن لتنتشر الفضيحة وتصعب محاصرتها والتستر عليها".[19] فعرف كل واحد عظيم جرمه في عيون الأخرين وإلى أي مدى كان سيئا وهو يتوارى عن أعين الناس فقد سطعت شمس الحقيقة ورأى كل واحد نفسه واتضح زيفه "وسـتهب هذه الليلة الريح التي تنكث عزل الأقنعة وتبليه ويسـتيقظ العصـاة ليجدوا أنفسهم محاصرين بمرايا الحقيقة التي تعكس كل خلجات الصور".[20]

3 تيمة الحكم السياسي وعلاقته بالنظام الاجتماعي المتقهقر

ومن الجدير بالذكر معرفة كيف وظفت تيمة السياسة. في هذه الرواية فبعد الحديث عن الفساد الواقع على مستوى الذوات بسبب تراكم الآفات والبعد عن الدين وإحضار أفراد للحياة دون التفكير كيف سيصبحون في ضل هذا الفساد والكساد والضياع فالخلل الحاصل أسـاسـه خلل اجتماعي أخلاقي وديني والذي يكبر كلما زادت مسـؤولية الفرد واعتلى مقامات ومناصـب أكبر هذا ما صـورته الرواية، فالإشـكال عام ولا يحتكره شـخص بل أمة بأكملها تحتاج لإعادة بناء. فالحوار الذي صـنعه منصـور -حين قبض عليه بتهمة لا علاقة له بها (ظلما)- مع صورة الرئيس كان حوارا يقول عكس ماي قوله المواطن اليوم فالكل يتهم شخص الرئيس كفرد -وليس كمنظومة كاملة تسـيطر على الوطن وخيراته من أعلى مسـؤول إلى المواطن العادي- تتحدث الأمة بصـفة الفسـاد السـياسـي ناتج عن شـخص ولي الأمر وعين لخدمة العامة لكن هل يعقل أن الدولة تقوم على شخص واحد، بل هي سـلطات ومناصـب كان من الأجدر أن تعين الحاكم كل من منصبه ومكانه فقط نختصر الدولة في شخص واحد قد لا يعلم أصلا ما الذي يحاك وينهب ويقتل باسمه، إن عم الفساد الجميع فالطبع السياسة سـتفشـل مهما كان الحاكم عادلا وهذا مارك عليه الروائي هنا. وإن كانت السـياسـة مسـاحة حرب دوما فالسـواد من الناس (العامة) هم جزء منها وهم سـبب ما يحصـل لهم وإن أنكروا ذلك، فالدعوة أن يصـلح كل إنسـان ذاته أولا ثم يحاول أن يهيئ ابنه على أن يكون شـخصـا حقيقيا وذا نفع حتى لو ظهر في عيون الآخرين على أنه مجنون كجنون منصور الذي يبدو أكثر

صحة في مجتمع أصبح فيه الحق ضرب من الخيال والجنون يقول منصور: "كنت في العثمانية وفررت من مستشفاها لما وجدت أن كل المجانين أميون لم يفقدوا عقولهم كما ينبغي.. أنهم يشبهونكم إلى حد كبير وتشبهونهم إلى حد التطابق". إذن للتخلص من هذه الحالة المرضية ولاستئصال هذا الورم وجب بتر العضو المصاب وتوعية البقية من خطورة هذه الأمراض بتربية الأجيال الآتية على مبادئ ثابتة يكون الظاهر فيها كالباطن.

تيمة المنظومة الأسرية وكيف يجب أن تكون لإنتاج جيل أكثر إيجابية

فالآتي من المستقبل محكوم بما يزرعه اليوم الآباء في أبنائهم وإلا فيكف سيصلح هذا الفساد الذي لا حد له ولا نهاية لفظاعته لكن ومع هذه الدعوة فالراوي يرى أن ذلك صعب جدا لأن الآباء لم يتعلموا بعد الدرس ولكن الإنجاب موجود في ظل تفشي المرض في جذور الآباء يقول: "وفي صباح اليوم الرابع لم يظهر إلا الأطفال بوجوه مشرقات كصباحات الربيع المدينة. وعيون صافيات يستحم فيها الطهر والبراءة وغدا كل واحد إلى دكان أبيه ليفتحه ويدير شؤون تجارته بائعا أو مبتاعا.."[21] لكن هذه الصورة التي قدمها ليوم جديد بعد أن اختفى كل شخص مما فعلت يداه واقترف (ككراف للخطايا وفاعل مرتكب لها). تعاد الصورة القديمة ويكبر المرض من جديد لأنه لم يستأصل جيدا أو لأنه متجذر لأبعد حد لا يزول إلا بزوال الشخص: "لكن ما يؤسف له حقا، هو أن هؤلاء الأطفال ظلوا يبيعون ويشترون بتسعيرة آبائهم وإخوانهم الكبار هؤلاء الذين تحصنوا بظلام الصمت، وصمت الظلام ريثما تنقشع عن وجوههم دهشة الفضيحة ولينسجوا أقنعة جديدة.."[22] وهذا بطبيعة الحال لأن الأبناء سيكونون صورة حية لآبائهم حتى بعد موتهم سيمجدونهم حتى لو أخطأوا وأساءوا فكيف سيتحقق التحرر والإصلاح ويحصل النقيض وتحظى الأمة بالمجد؟! فعلى الأبناء أن يعوا أن الآباء ليسوا دوما على صواب وأن يستخدموا العقل في البحث عن أسباب النجاة من هذا الواقع الذي غابت فيه كل ملامح الحياة الحقة. هذا ما نجده حين يخاطب منصور أباه كابن عرف الحقائق بروحه وعقله لا بما توارثه: "تعيشون حياتكم كما تشتهون طيبين وخبثاء.. مؤمنين وزنادقة أحرارا وفجارا حتى إذا اقتنصتكم الموت على حين غفلة صرتكم شهداء وعارفين بالله وأولياء صالحين وأصحاب حكمة استقبلتم الموت باسمين... أي زيف هذا؟!".[23] فإن اضطر الإنسان لأن يكون في مثل هكذا مجتمع فعليه أن يستخدم فطرته وعقله وكل الأشياء التي تتيح له أن يرى طريقا صحيحا وإن كان وحده وغريبا فيه يقول أيضا في السياق نفسه: "أنا ليس على أن أظل طفلا لتظل أنت أبا. فلابد أن أصير أبا لتصير جدا، ولابد أن أصير جدا لتصير أنت أبا جد. شيئا فشيئا يطويك الزمن ويدحرجك نحو الخلق وتخرج من رقعة الضوء التي يحتكرها تابوتك المهترئ.."[24] وبهذا فكل جيل يعيش بفكر ما يمليه عليه

زمنه وعقله ومتطلبات الحياة لا بما ورثه ووجد غيره يفعله ثم هي دعوى لان يكون الإنسان هو نفسه وينسب لعمله ولاسمه وليس لمنجزات أهله وعشيرته.

خاتمة

وبهذا نكون قد وضحنا كيف قدمت هذه الرواية تيمة الإصلاح بطريقة راقية وبأحداث مشوقة جاءت مسترسلة وطرحت مواضيع عدة وتيمات صبت جميعها لخدمة غرض تحرير الأمة الجزائرية من التيه الذي يكابده المجتمع الجزائري عامة والجيجلي خاصة

كما أنه أشار إلى الحاجات التي يحتاج إليها المجتمع ليحدث التغيير المنشود بداية من معرفة المجتمع بكل اطيافه وأجياله حقيقة تخلفه وضياعه ، فـهذه المصالحة والمصالحة الذاتية هي أول خطوات التغيير لأن المجتمعات التي لا تشعر بتخلفها لا يمكن أن تحرز أي نقلة نوعية في سبيل التجديد والتطور والتغيير ؛ لذا بدا منصور الشخصية الأساسية مجنونة لأنه وحده شعر بحاجة المجتمع لانتعاش خلقي وحضاري جديد فأصبح هو الغريب رغم رجاحة عقله في مجتمع مغيب للوعي ورافض له كليا لكان الانتصار أخيرا لمنصور الذي كان بوجهه الحقيقي منذ البداية ، فـكان الوحيد أخيرا الذي لم تصفعه الحقيقة ولم تحرجه حقيقته وطبيعته السليمة حين انفضح الجميع بقي هو شامخا لصدقه،

قد تضمنت روايته آراء واتجاهات سياسية وشخوص مثلت الدين وأخرى مثلت المواطن العادي الذي يمثل عامة الناس، وكل ذلك ليبين أن الإصلاح والتحرر عملية معقدة تحتاج إلى وقت وجهد وعقول واعية لا تخش شمس الحقيقة وتواجه الزيف بمنطق ما تمليه طبيعة الإنسان التي فطر عليها من حب للخير والصلاح ورغبة في المجد والرقي ،وأن يعيش الإنسان كما وجب عليه أن يعيش بكرامة وأمن بلا خوف أو نفاق أو أذى .الأمر في الحقيقة صعب ؛ لأن فساد الواقع أغرق الأمة كاملة فكان العمل على الإصلاح بحاجة فعلا لنقلة مجنونة وأناس يندفعون بجنون نحو هذه الأهداف السامية ،جنون من عرف الحقيقة وتبناها كما فعل بطل الرواية لا كمن عرفها وأخفاها كما فعل ويفعل الكثيرون.

الهوامش:

[1]- أحمد يوسف، القراءة النسقية -سلطة البنية ووهم المحادثة، ط، الدار العربية العلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص328.

[2]- سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، نسخة إلكترونية غير مطابقة النسخة الورقية من حيث ترقيم الصفحات منقولة من موقع المؤلف http:/www.saidallouch.net/indeyl.html. تنسيق عز الدين العمراني، النسخة الورقية، ط9، منشورات شركة بابا النسر والطباعة، الرباط، .1989، ص13.

[3]- ينظر :جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي ما بعد الحداثة -نظريات النقد الأدبي، موقع الألوكة www.alukah.com، ص391-392

[4]- حميد لحميداني، سحر الموضوع -عن النقد الموضوعي في الرواية والشعر، ط2، مطبعة فاس، المغرب، 2004، ص29.

[5]- أندريك أندرسون، مناهج النقد الأدبية، تر: الطاهر أحمد مكي، طبعة خاصة، دار كلية العلوم، جامعة القاهرة، 2000، ص166.

[6]- وسام حسين جاسم العبيدي، صورة المجنون في المتخيل العربي -منذ العصر الجاهلي من القرن الخامس هجري-، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان www.books4srab.com

[7]- عبد الله لحيلح، كراف الخطايا، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر، 2002، ص03.

[8]- المصدر نفسه، ص01.

[9]- محمد أمين المصري، المسؤولية، ط1، دار الأرقم، بيروت، لبنان، 1979، ص09.

[10]- عبد الله لحيلح، كراف الخطايا، ص02.

[11]- المصدر نفسه، ص04.

[12]- المصدر نفسه، ص152.

[13]- المصدر نفسه، ص176.

[14]- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة -الظاهرة القرآنية، تر: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق 1987، ص32.

[15]- محمد عبد الكريم، تفكيك الاستبداد -مقاربة مقاصدية في فقه للتحرر من التغلب، ط1، الشركة العربية للبحاث، بيروت، دون سنة نشر، ص17.

[16]- عبد الله لحيلح، كراف الخطايا، ص177.

[17]- المصدر نفسه، ص172.

[18]- المصدر نفسه، ص172.

[19]- المصدر نفسه، ص182.

[20]- المصدر نفسه، ص181.

[21]- المصدر نفسه، ص188.

[22]- المصدر نفسه، ص188.

[23]- المصدر نفسه، ص156.

[24]- المصدر نفسه، ص181.

المراجع

i. المراجع

1- أحمد يوسف، (2007) ،القراءة النسقية -سلطة البنية ووهم المحادثة، ط، الدار العربية العلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر .

2- أندريك أندرسون، (2000) ، مناهج النقد الأدبية، تر: الطاهر أحمد مكي، طبعة خاصة، دار كلية العلوم، جامعة القاهرة،

3- جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي ما بعد الحداثة -نظريات النقد الأدبي، موقع الألوكة www.alukah.com ،

4- حميد لحميداني، (2004) ، سحر الموضوع -عن النقد الموضوعي في الرواية والشعر، ط2، مطبعة فاس، المغرب.

5- سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، نسخة إلكترونية غير مطابقة النسخة الورقية من حيث ترقيم الصفحات منقولة من موقع المؤلف http:/www.saidallouch.net/indeyl.html. تنسيق عز الدين العمراني، النسخة الورقية، ط9، منشورات شركة بابا النسر والطباعة، الرباط، .1989.

6- مالك بن نبي، مشكلات الحضارة -الظاهرة القرآنية، تر: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر، دمشق 1987، ص32.

7- محمد أمين المصري، المسؤولية، ط1، دار الأرقم، بيروت، لبنان، 1979.

8- محمد عبد الكريم، تفكيك الاستبداد -مقاربة مقاصدية في فقه للتحرر من التغلب، ط1، الشركة العربية للأبحاث، بيروت، لبنان، دون سنة نشر.
9- وسام حسين جاسم العبيدي، صورة المجنون في المتخيل العربي -منذ العصر الجاهلي من القرن الخامس هجري-، دار الروافد الثقافية، بيروت، لبنان www.books4srab.com

ii. المصادر

عبد الله لحيلح، (2002) ،كراف الخطايا، ط1، مطبعة المعارف، عنابة، الجزائر.

لنقتبس من المؤلف:

بوزكري، نوال -قيطون، قويدر، «تيمية الإصلاح والتحرر في رواية كراف الخطايا "لعيسى لحيلح" مقاربة موضوعاتية »، المجلد 07، الرقم01، ص ص369-407 ،https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/4801